مبدأ التسامح وآليات تفعيله في الفكر الدِّيني
دراسة موضوعية مقارنة

Doi: 10.23918/ilic2020.48

أ.م.د.فتحي جوهر المزوري
رئيس قسم التربية الدينية/كلّية العلوم الإسلامية/ جامعة صلاح الدّين
fathi.farmazi@su.edu.krd

إنّ طبيعة المجتمعات البشرية ولسان حالها تنادي دائماً بالقول المشهور:
{هناك أمر واحد لا أتسامح معه وهو عدم التسامح}

المقدمة

التسامح مبدأ إنساني, قبل أن يكون مبدأً دينياً, وإنّ إقراره ووجوده يعتبر ضرورة دينية وسياسية وأخلاقية واجتماعية، خاصة في المجتمعات ذات التنوّع السياسي والدّيني والطائفي والقومي.

إنَّ من أبسط معاني التسامح ومفاهيمه؛ هو العفو عند المقدرة، وعدم ردّ الإساءة بالإساءة، والترفّع عن الصّغائر، والسُّموّ بالنّفس البشريّة إلى مرتبة أخلاقيّة عالية.

والتسامح كمفهوم أخلاقي اجتماعي؛ دعا إليه الرسل والأنبياء والمصلحين؛ لما له من أهميّة كبرى في تحقيق الوحدة والتضامن وتماسك المجتمعات، والقضاء على الخلافات والصراعات بين الأفراد والجماعات.

وهو في معناه العميق, يعني التسامح مع أنفسنا والتخلص من أخطاءنا والتخفيف من أثر الإحساس بالذنب الذي بداخلنا، بالإضافة إلى أنّه يعني احترام ثقافة وعقيدة وقيم الآخرين.

لقد كثر الكلام عن التسامح في الكتب والبحوث والمؤتمرات والقوانين والدساتير ومبادئ المنظمات الدولية والمحلّية, إلاّ أنّنا لا زلنا نفتقر آثاره الإيجابية في واقعنا, بحيث نعاني من الظلم والقتل والرفض والتهميش. فيا ترى أين يكمن الخلل؟ هل الخلل يعود إلى الأصول والمبادئ التي نؤمن بها؟ أم إلى فهمنا والآليات التي اعتمدناها في إنزال مبدأ التسامح إلى الواقع المعاش؟ أم أنّنا نخدع أنفسنا بتلك الشعارات الجوفاء, من أجل الوصول إلى أهداف ومآرب شخصية ودنيوية؟

والغريب في الأمر, هو أنّنا عندما نتحدث عن التسامح نلجأ دائماً إلى الدِّين, وهذا الأمر ينطلق من حقيقتين, الأولى: الاعتقاد بأنّ الدِّين هو مصدر التسامح. والثاني: أنّ الدِّين هو السبب في عدم إقرار التسامح, وأنّ ما أصابت المجتمعات من قتل وتشويه وهدر للحقوق, إنّما يعود إلى المبادئ والقناعات الدِّينية الرافضة لوجود الآخر المختلف.

هذه الدراسة محاولة متواضعة للتعرّف على موقف الأديان السّماوية من مبدأ التسامح, والسبل الشرعية التي يتمّ من خلالها تفعيله, وبيان آليات تطبيق هذا المبدأ في الأديان السّماوية الثلاث, قدر المستطاع, وإذا كانت تلك الأديان مصدرها واحد فهل نظرتها إلى أهمية هذا المبدأ وتطبيقه متشابهة؟ فإنّ كانت متشابهة فلماذا لا نجد موقفاً موحداً وقوياً لصالح تثبيت هذا المبدأ وإقراره؟

أهمية الموضوع:

إنّ أهمية الموضوع ينطلق من الأثر الإيجابي للتسامح في تربية الفرد وتهذيب المجتمعات, على قبول الآراء والمعتقدات المختلفة. وبناء الإنسان على احترام الآخرين, الذين يختلفون عنه في الشكل واللون واللغة والمعتقد. وينطلق أيضاً من أهمية بيان الآليات التي يمكن من خلالها تفعيل مبدأ التسامح في واقع الإنسان والمجتمع.

أسئلة البحث:

- هل يجب أن يكون الإنسان دوماً متسامحاً؟
- هل الأديان السماوية تؤمن بالتسامح الديني فيما بينها, وتقرّ على تطبيقه في الواقع؟
- ما هي أهمّ آليات تفعيل هذا التسامح في الرؤى الدينية المختلفة؟

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في الاعتقاد السائد لدى بعض الفئات والمثقفين في المجتمع, بأنّ الدِّين هو السبب في وجود الخلل والرفض والتخلف, وبالتالي القتل. وكذلك تصرفات واعتقادات بعض المنسوبين على الفكر الدّيني, وتبنّيهم للفكر المتطرف وكأنّه جزء لا يتجزأ من الدِّين وأصوله.

خطة البحث:

يتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وكالآتي: المبحث الأول: تعريف التسامح ومفهومه وتعريف التسامح الديني. المبحث الثاني: إشكاليات في طريق التسامح. المبحث الثالث: التسامح في الفكر الدِّيني اليهودي. المبحث الرابع: التسامح في الفكر الدِّيني المسيحي. المبحث الخامس: التسامح في الفكر الدِّيني الإسلام. المبحث السادس: آليات تفعيل التسامح في الفكر الديني.

المبحث الأول: تعريف التسامح, مفهومه وتعريف التسامح الديني

أولاً/ تعريف التسامح في اللغة:

التّسامح مُشتقّ من الفعل(تسامَح), الخماسيُّ اللازم المعتدِّي إلى التَّساهل والتَّهاون واللين، والغضّ عن الأخطاء. ومن مدلولاته اللغويَّةُ: الحِلمُ والعفوُ والمُسامحة؛ أي غُفرانُ الحقوقِ، والعفوِ عن الخطأ، والموافقة على الصَّفح[1], والسَّماحةُ في اللُّغةَ تدلُّ على

[1] معجم اللغة العربية المعاصرة, ١١٠٤/٢.

السَّلاسة، والمُساهلة، والتهاون، والحِلم، والرِّفق وفي النُّظم الفلسفيَّة العالمية يُنظر إلى التسامح على أنَّه احترامٌ تبادليٌّ بين الأفرادِ والآراء، وإظهار اللطف والأدب فيما يُعبِّر عنه الآخرون لفظيّاً أو سلوكيّاً، مهما كان مستواه صحيحاً كان أم خاطئاً[١].

وجاء في قاموس أكسفورد, كما ينقله عصام عبدالله. أن التسامح(Tolerance), تعني الاستجابة أو الموافقة على الآراء أو السلوك الذي لا توافقه أو تحبه. و(Tolerant) تعني إمكانية قبول آراء وسلوك الأفراد غير المتوافقين معهم. و(Tolerable), تعني الموافقة وتحمل الأفكار والمعتقدات البغيضة أو غير المستحبة لنا والمكروهة. و(Tolerate), تعني السماح للأفعال التي لا نوافق عليها، بالتعايش معها, لكن لا نشجّعها[٢].

وفي اللغة العربية قد يختلف معنى التسامح, نوعاً ما, عمّا جاء في الفكر الغربي, فقد جاء في لسان العرب أنّ السماح والسماحة: الجود، وسمح سماحة وسموحة وسماحاً...والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا. والإسماح لغة, في السماح بمعنى: جاد وأعطى من كرم وسخاء[٣]. ولكن رغم الاختلاف الذي لمسناه بين المفهوم اللغوي للتسامح عربياً وغربياً، لكن أغلب الباحثين والكتاب المعاصرين، لا يأخذون بمعاني التسامح ودلالاته اللغوية العربية, بل فضّلوا العمل بالرؤية الغربية, التي تتجاوز المعنى اللغوي الأصلي للكلمة.

ثانياً/ التسامح في الاصطلاح:

التسامح كلمة يستخدم للإشارة إلى الممارسات الجماعية أو الفردية التي تقتضي نبذ التطرف أو ملاحقة كلِّ مَن يعتقد أو يتصرف بطريقة مخافة قد لا يوافق عليها المرء[٤], ويعتبر التسامح لغة الاتصال في العصر الحاضر[٥]. ويعرّفه محمد أركون بأنّه: الاعتراف للفرد المواطن بحقه في أن يعبّر داخل الفضاء المدني, عن كلِّ الأفكار السياسية والدينية والفلسفية التي يريدها, ولا أحد يستطيع أن يعاقبه على آرائه, إلاّ إذا حاول فرضها بالقوة والعنف على الآخرين[٦].

ويعرّف ماجد الغرباوي التسامح بأنّه: موقف إيجابي متفهم من العقائد والأفكار، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة, بعيداً عن الاحتراب والإقصاء, على أساس شرعية الآخر المختلف سياسياً، دينياً....

وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته[٧]. والتسامح كسلوك وموقف, لا يعني بالضرورة أنّه منَّة أو دليل ضعف وميوعة في الالتزام, بل هو من مقتضيات القيم ومتطلبات الالتزام[٨].

ويقول د.محمد عابد الجابري: أنّ التسامح, لا يعني أن يتخلى المرء عن قناعته، ولا أن يكفَّ عن إظهارها والدفاع عنها والدعوة لها، بل يعني الامتناع عن استعمال أية وسيلة من وسائل العنف والتجريح، أي التسامح هو احترام الآراء وليس فرضها[٩].

وعليه فإنّ التسامح بهذا المعنى, يعني قبول واحترام وتقدير التنوع الثري لثقافات عالمنا، وأنماطه التعبيرية المختلفة، وطرق تحقيق كينونتنا الإنسانية، فهو تناسق في الاختلاف، وهو ليس واجب أخلاقي فقط، بل وواجب سياسي وحقوقي أيضاً، وهو فضيلة تعمل على إحلال ثقافة السلام محل ثقافة الحرب، وهو ليس مجرد إقرار، ولا مجرد تنازل أو تجاوز، بل هو موقف فعّال مدعوم بالاعتراف بالحقوق والحريات للآخرين[١٠].

ونستخلص من هذه التعاريف والآراء, أنَّ التسامح يستوجب الاحترام المتبادل، ويدعو الشعوب إلى التعارف والتقارب، ويفرض التعامل الموضوعي, من دون المسَاس بدائرة الخصوصية أو إثارة حساسيتها، وهي دائرة تبادل المعارف والمنافع والمصالح المشتركة, التي يعود مردودها بالخير على الجميع.

ثالثاً/ تعريف التسامح الديني:

التسامح مفهوم واسع وشامل, فهناك تسامح فكري وسياسي وثقافي واجتماعي وديني. والذي نريد تعريفه والتركيز عليه هو التسامح الديني. لأنّ مسألة التسامح ارتبطت بالقضية الدينية, وأول مَن كتب عن التسامح الديني هو الفيلسوف الإنكليزي جون لوك(١٦٣٢-١٧٠٤), الذي ربط مقولة التسامح بالمسألة الدينية, بوصفها الحل العقلاني الوحيد، لمشكلة الحروب والخلافات التي نشأت داخل الديانة المسيحية في القرون الوسطى[١١].

بداية نؤكد بأنّ الأديان, بحكم انتمائها إلى السّماء، فإنّها لا تأمر إلاّ بالخير والحق والصلاح. ولا تدعو إلاّ بالبرّ والحب والرّحمة والإحسان، ولا توصي إلاّ بالأمن والسِّلم والسلام، وما كانت يوماً في حدِّ ذاتها عائقاً أمام التبادل الفكري والثقافي, ولا أمام التعايش والتعارف والحوار، وإنّما العائق يكمن في الذين يتوهّمون أنّهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلّون الأديان في أقدار الناس ومصائرهم[١٢].

---

[١] المقومات الفلسفية للتسامح الثقافي, عصام عبدالله, ص١٧.
[٢] المصدر نفسه, ص١٧.
[٣] لسان العرب:٤٨٩/٢.
[٤] مفاهيم فلسفية-التسامح, د. مضان بسطاويسي, د.-ص١١٣.
[٥] مؤتمر الاستشارات الاجتماعية, مقال د. عبدالحسين شعبان, ص٦١٤.
[٦] قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم), محمد أركون, ص٢٤٣.
[٧] التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، ماجد الغرباوي، ص٢٠.
[٨] مفاهيم فلسفية-التسامح-ص١٠٩, ١١٥.
[٩] قضايا في الفكر المعاصر, د. محمد عابد الجابري, ص٢٨.
[١٠] مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب، ياسين بن علي، ص١٣.
[١١] رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة وتعليق: عبد الرحمن بدوي، ص٨.
[١٢] موقع: www.tolerancy.org . تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/١٢.

ويقصد بالتسامح الديني، قبول واحترام المعتقدات الدينية والمذهبية الأخرى المختلفة والمخالفة، والتسامح تجاه معتنقيها، والاعتراف بحق المرء في تبنّي أية ديانة أو مذهب, وتظهر ضرورة هذا النوع من التسامح، في الظروف التي تسيطر فيها حركة دينية معينة على المجتمع[١].

بهذا المعنى, التسامح الديني ليس مساومة فكرية أو دينية، كما أنّه بالمقابل لا يلغي الخصائص والمميزات الفريدة, ولا يقفز فوق الفوارق الدينية والحضارية, إنّه الاعتراف الهادئ بوجود التباينات, ومن ثم احترام هذه التباينات باعتبارها إثراء للوجود البشري ودعوة إلى التعارف[٢], كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (الحجرات: ١٣).

المبحث الثاني: إشكاليات في طريق التسامح

إنَّ التسامح، سواء كان، دينياً أو مدنياً أو علمانياً أو سياسياً، فهو ضروري، بل إنّه واجب, ولابدَّ من الأخذ به، في واقعنا المعاصر, وعلى المستوى المحلي والوطني والدولي. ولكن كلمة-تسامح لا تزال موضع التباس وأخذ وردٍّ, قديماً وحتّى اليوم، وعلى المستوى الديني والفلسفي والتطبيقي, وبشكل خاص السياسي.

التسامح والحرية توأمان, ومبدأ التسامح هو مبدأ الحرية[٣]. إلاّ أنّ الموسوعة الفلسفية لبول إدواردز, ترى ضرورة تمييز التسامح عن الحرية، وذلك لافتراض وجود شيء غير مرغوب فيه ومزعج و ضار في التسامح, فالمتسامح يدين ومع ذلك يتسامح. هذا في حين أنّ نظرية الحرية لا تحتمل النقد، كما يقولون[٤]. وهذا النوع من التسامح يؤدي إلى اللامبالاة, ولابدّ من التفريق بين التسامح واللامبالاة. لأنّ اللامبالاة تعتبر من الأمور السيئة، لاسيما بالنسبة للمتدينين, فهو مذموم ويعاقب عليه,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

ومن جهة أخرى, التسامح لا يعني اللامبالاة وعدم الاكتراث، الدالين على تجاهل الآخر وإهماله، واتخاذ موقف سلبي منه، بل يعني موقفاً ذا طابع إيجابي[٥].

ومن يتحدث عن التسامح؛ لابدّ له من أن يتحدث عن الحرية والاحترام, مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة وضع الحدود للحرية, كي لا تصبح فوضى في الواقع العملي, وكذلك الأمر بالنسبة للتسامح كي لا يجنح نحو الاستبداد؛ وهنا الغاية تكون الحفاظ على النظام. وهنا تكمن الإشكالية. فوضع الحدود للحرية والتسامح يعود إلى كون الأخذ بالتسامح يؤدي أحياناً إلى مواقف لا أخلاقية[٦].

والإشكالية تكمن أيضاً, في أنّه إذا ما تمسّكنا بالحرية والتسامح, بشكل مبدئي, نضطر إلى قبول تصرفات غير مفيدة، وحتى أحياناً مضرّة بالمجتمع, وبالتالي ننقلب ضد الحرية والتسامح. يقول فلادمير جانكليفيتش: "إنّ التسامح إذا ما دفع به إلى آخر الحدود, ينتهي بنفي ذاته"[٧]، على اعتبار أنّه يترك الأيدي طليقة لمن يريد أن يقضي عليه. وبذلك لا يعود من قيمة للتسامح إلاّ ضمن الحدود التي هي حدود بقائه والحفاظ على شروط
إمكانيته. وهذا ما يسميه كارل بوبر إشكالية التسامح، حيث يقول:"إذا ما أخذنا بالتسامح المطلق حتّى تجاه غير المتسامحين، ولم ندافع عن المجتمع المتسامح ضد هجماتهم، يفنى المتسامحون ومعهم التسامح أيضا[٨]. فالتسامح يفترض الأخذ على الذات وليس على الغير، حيث لا يعد هناك من تسامح، ولذلك فتحمل عذاب الآخرين والظلم الذي يحيق بهم والتسامح مع الفظائع التي ترتكب بحقهم, ليس فيه شيء من التسامح؛ بل هو منتهى الجبن واللإنسانية. ولذلك فالتسامح بهذا المفهوم هو تسامح مع الوحشية أو التسامح الوحشي[٩].

ومن المغالطات عدم القدرة على التوفيق بين التسامح وتطبيق مبدأ المعاملة بالمثل, وبمقارنة بسيطة بين هذا المبدأ في الإسلام وغيره, سنجد أنّ مبدأ المعاملة بالمثل؛ تمّ إقراره في الإسلام, ليكون السلاح الرادع للمعتدين على المسلمين. ومن جهة أخرى, يفهم بعض الناس أنَ التسامح الذي ينشده الإسلام, إنّما هو تعبير عن الضعف والعجز, يقول د.شوقي أبو خليل:" شتّان بين التسامح والضعف والعجز, فكثيرون لا يقدّرون هذا النبل, وربّما استغلّوا هذه السماحة في الإساءة إلى الإسلام"[١٠].

ومن التصورات والمغالطات أيضاً, التعارض بين فضيلة التسامح وبين مسألة الولاء، إنّ الولاء للإسلام لا يعني رفض غيره, لأنّه مدعو للدفاع عن نفسه, إذا ما تعرض لهجوم، ولأنّ الإسلام دين التسامح والعفو والصفح, يأمر بمسالمة من لا يتعرض له بالإساءة, وهذا التوافق بين تسامح الإسلام ورفضه الولاء لخصومه المعتدين، توافق يعتبر حاجزاً حقاً بين التسامح والعفو من جهة, والضعف والجبن والنذالة من جهة أخرى[١١].

---

[١] المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة وتعريب: سعد الفيشاوي. ص٢٣٦.
[٢] موقع: alhiwartoday.net/node. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٢٠.-
[٣] موقع:http://alhiwartoday.net. مقال: د. هنداوي, تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٢٠.
[٤] The Encyclopedia of Philosophy, V. 7 Paul EDWARDS, P.143
[٥] دراسات في التسامح. ناجي البكوش وآخرون، ، ص١٢.
[٦] موقع: altasamoh.net.www. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٢٥.
[٧] موقع: .www.altasamoh.net تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٢٧،.
[٨] أضواء على التعصب، حسن حنفي، ص١٧٦.
[٩] موقع: www. altasamoh.net. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٢٧.
[١٠] التسامح في الإسلام, د. شوقي أبو خليل, ص٥٠.
[١١] موقع: www.asjp.cerist.dz. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/١٦.

ولا يتعزز خيار التسامح، إلاّ بتنازل القوي للضعيف، ليس بقصد التسلط على الضعيف, وإنّما بقصد نشر الرفاه الاجتماعي، وهو عبارة عن خطوات مُنظمة لإحقاق مصداقية حقيقية للتلاقي بين مختلف الأطياف في الأمة الواحدة، حتّى لو اختلفت أديانها ومذاهبها وقبائلها وأحزابها ولغاتها، ففي الدّين سعة كبيرة، وشرائع السّماء تحتمل الأمم جمعاء, وليس أمّة واحدة، والقرآن الكريم وضع كافة الحلول لإيجاد صيغة أخلاقية وعقد اجتماعي كبير بين الفئات المختلفة, لتعيش على أرض الله وتحت سقف قبة برلمانية حقيقية على مسرح الواقع[١].

ومن الإشكاليات أيضاً, هو أنّ التحدّث عن التسامح, في كثير من الأحيان, يأخذ أبعاداً نفسية سلبية. لا تشجّع على الحوار البنّاء؛ لأنّ لغته تستخدم فقط من جانب واحد, والجانب الآخر يشعر بالإهانة, لأنّ التسامح في لغته تضع فئة في موقع الضعف, وتضع فئة أخرى في موقع القوة [٢].

وأخيراً نقول أنّه هناك إشكالية أخرى, في بعض المجتمعات, يقرر التسامح لمصلحة الأنظمة ليس إلاّ، وهو ملف مفتوح من قبل الحكومات, ويدعون إليه بشكل منظّم في إعلامهم الرسمي, وربّما إقامة الندوات والمؤتمرات في عدة مناطق من البلاد وإشاعة هذه الثقافة، ولكن القصد الأساس من إشاعتها هو خدمة سياسة الدولة ليس
إلاّ، أو يُعتبر هذا السلوك من السياسات الخاصة لكسب الآخرين وجمع أكبر عدد من الأصوات للفوز ببعض المناصب، وليس المقصود بها إشاعة ثقافة التسامح وقبول الآخر, بكلّ أخلاقية وبكلّ مصداقية. وإذا ما طالبت فئة من المجتمع بحقوقها يتم تسليط القوة ضد هذه الفئة من المجتمع, ويتهمها بالصفات السلبية, كالخروج على الدولة وإثارة النعرات الطائفية، وهنا لا يكون لمعنى التسامح الذي دعوا إليه أي معنى.

المبحث الثالث: التسامح في الفكر الدّيني اليهودي.

لقد تبنَّت الأديان السّماوية المبادئ الإنسانية الجميلة, على الرغم من اختلاف الأنبياء والشرائع, لأنّ مصدرها واحد وأهدافها واحدة. فلم يشتمل الإسلام وحده على تلك المبادئ، ولم يكن الإسلام هو الدّين الوحيد الذي تبنّى مبدأ التسامح, فاليهودية أيضاً تبنت مبدأ التسامح, ودعت في كتابها المقدس(العهد القديم) الى تبني مبادئ التسامح في أَجْلى صوره، وهذا دليل على تشارك الأديان السماوية في هذا الجانب المهم, من جوانب الحياة. ولا غرابة في ذلك, لأنّ الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة والمبادئ الإنسانية واحد.

إنّ الأديان, بحكم انتمائها إلى السَّماء, فإنّها لا تأمر إلاّ بالخير والحق والاصلاح, ولا تدعو إلاّ إلى الحب والبر والرحمة والاحسان, ولا توصي إلاّ بالأمن والسلام , وما كانت الأديان يوماً, بحد ذاتها, عائقاً أمام التبادل الفكري والتعايش والتعارف والحوار, وإنّما العائق يكمن في الذين يتوهمون أنّهم يمتلكون الحقيقة المطلقة ويستغلون الأديان في التحكّم بأقدار الناس ومصائرهم, تلك المهمة التي أبى الله أن يمنحها لأي إنسان[٣].

واليهودية كديانة سماوية, قد أسست وأنشأت مبدأ التسامح وإن لم يكن ذلك واضحاً جلياً في معرض نصوصها, لكن مضمون التسامح نجده في بعض النصوص, و يمكن رصد تلك المبادئ في العهد القديم, منها:{كلُّ ما تكرهُ أن يفعلهُ غيرك بك, فإيّاك أن تفعلهُ أنت بغيرك}[٤], وجاء:{ اغْتَسِلُوا، تَطَهَّرُوا، أَزِيلُوا شَرَّ أَعْمَالِكُمْ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. كُفُّوا عَنِ اقْتِرَافِ الإِثْمِ، وَتَعَلَّمُوا الإِحْسَانَ، انْشُدُوا الْحَقَّ، أَنْصِفُوا الْمَظْلُومَ، اقْضُوا لِلْيَتِيمِ، وَدَافِعُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ.}[٥], وجاء:{لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك بل تحب قريبك كنفسك أنا الرب}[٦]. ولكن الإشكال في تحوّل هذه المعاني النبيلة عند التطبيق, حيث أنّهم حصروها في التعامل مع اليهودي, لا غير.

المبحث الرابع: التسامح في الفكر الدّيني المسيحي.

لكون التسامح الديني مطلب إنساني نبيل, واقتضته الحكمة الإلهية والفِطرة الإنسانية وفرضته طبيعة النشأة الاجتماعية للمجتمعات المدنية. فجاءت المسيحية لترسيخ ذلك المبدأ النبيل, متمثلة في شخصية المسيح-عليه السلام- وأقواله الجليلة, التي تدل على منتهى التسامح على مستوى الفرد والجماعات, حيث جاء:{سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. ومنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ
اثْنَيْنِ}[٧], وقال:{ وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ}[٨], وقال أيضاً:{لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ}[٩], وجاء:{لكنّي أقولُ لَكُم أيّها السامِعونَ: أحبّوا أعْدائكم, أحْسِنوا إلى مُبغِضيكم, باركوا لاعِنيكم, وصَلّوا لأجْلِ الذين يَسيئونَ إلَيْكم}[١٠], وجاء في رسالة بولس لأهل كولوسي:{ونتعب عاملين بأيدينا, نُشتَم فنُبارك, نُضطَّهدُ فنَتحمَّل}[١١], وجاء أيضاً:{ تحلَّوا بهذه الصفات: الحنان واللطف

---

[١] موقع: https://annabaa.org/arabic. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٢/٣١.
[٢] قبول الآخر, يوحنا إبراهيم, ص٨٤.
[٣] موقع: http://baytalhikma.iq. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/١٥.
[٤] (طوبيا ٤:١٦).
[٥] (إشعياء ١:١٦-١٧).
[٦] (لاويين ١٩: ١٨).
[٧] (متى ٥: ٣٨-٤١).
[٨] (لوقا ٦: ٣٧).
[٩] (متى ٧: ١-٢).
[١٠] (لوقا, ٦: ٢٧-٢٨).
[١١] (كولوسي, ٤: ١٢).

والتواضع والوداعة والصبر, احتملوا بعضكم بعضاً, وسامحوا بعضكم بعضاً, إنْ أخطأ إليك واحد، سامحه كما سامحك المسيح, البسوا المحبة التي هي رباط الكمال, فليملك سلام المسيح في قلوبكم، وكونوا شاكرين}[١].

وقد كان التسامح والإحسان ضمن دعوة السيد المسيح, عليه السلام, وأكّد أنّ استمرار رحمة الله وغفرانه للإنسان, مشروط بروح التسامح, فالشخص غير المتسامح محروم من نعمة التواضع التي تجعله مؤهلاً لنوال غفران الله,.. وإنّ السيد المسيح وجّه موعظته إلى جماعة من البشر, إذ كان يخاطب فئة قادرة على تحمل مسؤولية إصلاح المجتمع وخلق عالم أفضل يغلب عليه الحب والعفو والتسامح والعدل بين البشر, وأنّها جماعة تسعى إلى رضا الله تعالى:{ إنّما عليكُم أنتُم يا أتباعي أن تَشمَلَ مَحبّتُكُم جَميعَ النّاسِ كما تَشمَلُ مَحبّةُ اللهِ أبيكُم الرَّحيم جَميعَ عِبادِهِ }[٢], وقد وجه موعظته للذين لهم رؤية لتغيير العالم إلى أفضل, يسوده الحب والتسامح والعفو:{.. فسامحوا من أخطأ في حقكم, لكي يغفر لكم أبوكم الذي في السماء أخطاءكم أيضاً.. }[٣], وورد:{ فإن غفرتم للنَاس زلاتهم يغفر لكم أبوكم السماوي زلاتكم, وإن لم تغفروا للناس لا يغفر لكم...}[٤], وجاء: {تحب قريبك كنفسك}[٥], وجاء في تفسيره: أنّ حب القريب والتسامح معه, يقصد به كلّ إنسان, وجميع البشر هم أخوة لنا, يجب أن نحبهم ونتسامح معهم, لأنّ مَن أحبَّ غيره؛ أتمّ الشريعة والوصايا[٦].

إلاّ أنّ الكنيسة المسيحية لجأت-في بعض العصور- إلى عدم التسامح, بل إلى العنف, حتّى في خدمة الحقيقة[٧], والموقف الكنسي الكاثوليكي, بشكل عام, يتسم بالرفض المستمر للتسامح, على أساس أنّها تملك الحقيقة, وأنّه لا يجوز أن يتساوى الحق والباطل, إلاّ أنّها أقدمت على قبول مبدأ التسامح, باعتباره أهون الشرَّيْن, وتنازلاً منها أمام الواقع[٨].

وقد رفضت الكنيسة الكاثوليكية الحرية الدينية, كحق طبيعي, وتكلّم عن التسامح إزاء الأديان الأخرى, كشرٍّ لابدَّ من القبول به, في ظروف معينة[٩].

أمّا المجمع الفاتيكاني الثاني فهو لم يتكلّم عن التسامح, بل عن حق الحرية الدينية, وأنّ المجمع يضع مبدأ المسؤولية الشخصية والاجتماعية للحرية الدينية, وأنّه ينبغي على الأفراد والفئات الاجتماعية والفردية أن تحترم حرية الآخرين وتقوم بواجباتها إزاء الآخرين وتصون الخير العام[١٠].

المبحث الخامس: التسامح في الفكر الدّيني الإسلامي.

إنّ الإسلام يحمل خطاباً واضحاً وصريحاً حول التسامح, تجاه كلّ البشر, لكونه يريد أن يقيم مجتمعاً عالمياً مبنياً على الرحمة والاحترام والخصوصية, يقول د.عبدالحسين شعبان:" التسامح يشكّل الأساس في الإسلام"[١١].

التسامح من أسمى الصفات التي أمر الله ورسوله بها, فهو يعني العفو عند المقدرة والتجاوز عن أخطاء الآخرين ووضع الأعذار لهم, والنظر إلى مزاياهم وحسناتهم, بدلاً من التركيز على عيوبهم وأخطائهم[١٢].

صحيح أنّه لم يرد في القرآن الكريم كلمة التسامح ومشتقاته, إلاّ أنّه وردت فيه كلمات تعطي المعنى ذاته, مثل الصفح والعفو والإحسان... والإسلام بطبيعته وماهيته رسالة عالمية, يريد الخير والهداية والرحمة للجميع,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ (الأعراف: ١٥٨), و:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء:١٠٧). ولهذا فقد تعددت الخطابات التي تعبّر عن هذا التوجّه, فعلى سبيل المثال وردت آيات تعبّر عن الصفح عن الآخرين, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ (الحجر: ٨٥), وقال:قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزخرف: ٨٩), ووردت آيات في حق أهل الكتاب وقد جمعت بين العفو والصفح, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ (البقرة:١٠٩), وآيات جمعت بين العفو والصفح في حق مَن يحرّفون الكلم عن مواضعه, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

---

[١] (كولوسي ٣: ١٢-١٥)
[٢] (متى ٥:٤٨).
[٣] (مرقس ١١: ٢٥-١٦).
[٤] (متى٦: ١٤).
[٥] (متي ٢٢: ٣٩).
[٦] كتاب: أحبوا أعداءكم, بيتر قدوس, ص١٤.
[٧] عالم واحد للجميع, عادل ثيودور, ص٦٣.
[٨] نفس المصدر, ص٧٥.
[٩] رسالة البابا لاون الثالث عشر, سنة ١٨٨٥م.
[١٠] عالم واحد للجميع, مصدر سابق ص٧٨, ٨٤.
[١١] التسامح في الفكر العربي الإسلامي, مقال د.عبدالحسين, المؤتمر الدولي حول الاستشارات الاجتماعية, ص٦١٣.
[١٢] مفاهيم فلسفية, ص١١.

(المائـدة: ١٣), وجـاءت آيـات بـالأمر باختيـار الأحسـن فـي حالـة وجـود سـيئات كثيـرة, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ ﴾(المؤمنون:٩٦).

ولقد تجلّت سماحة الإسلام في مظاهر تنظيم العلاقات بين المسلمين وغيرهم من أهل الديانات الأخرى, في المجالات كافة، فوضعت مجموعة القواعد والضوابط الفقهية والآداب السلوكية للتسامح, أظهرت جميعها أنّ الإسلام دين اليسر ورفع الحرج والمشقة ودين الرحمة والهداية, جاء لإخراج البشر من الضلالة إلى النور, ووضع شروطاً وضوابط في التعامل مع أهل الكتاب, وذلك باختيار الأسلوب الأحسن, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ... ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

وبسبب أنّ التسامح ظاهر في الممارسات الدينية, فلم يكن الكلام عن التسامح من اهتمامات علماء المسلمين. فالإسلام يقبل المختلف في الدين, كسلوك حضاري وضرورية اجتماعية, تمثلت في احترام المعتقدات والتعايش مع معتنقيها، وقبول المخالف مع قدرة الرفض, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ... لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (سورة الكافرون). وعلى هذا, فالتسامح لغة إسلامية أصيلة، ومعنًى أخلاقي شرَعه الإسلام وحثَّ عليه, قبل أن تولد فلسفة التسامح, وبأساليب متنوعة.

ولم تظهر فكرة التسامح, كمبدأ خاص, في الغرب, إلاّ على أنقاض الحروب الدينية في أوروبا, بعد أن عاشت أوروبا عهوداً من الطغيان الكنسي والاضطهاد الديني. ومع تبلور فكرة الدولة والمجتمع المدني, خرج مفهوم التسامح, بمعناه الشامل، من نطاق السلوك الفردي أو الذاتي إلى نطاق السلوك الجماعي والدولي، وأصبح أساساً لكلِّ تنظيم سياسي، في الغرب، ثمَّ في العالم. وبذلك بدأ التسامح دينياً وحظي بتأييدٍ فلسفي[١].

وهكذا فالإسلام لم يقم باضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره على عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم, وشتّان بين التسامح والضعف والعجز, فكثيرون لا يقدِّرون هذا النبل, وربَّما استغلّوا هذه السماحة في الإساءة إلى الإسلام الذي وسعتهم دائرته المرنة[٢].

المبحث السادس: آليات تفعيل التسامح في الفكر الديني

إنّ التسامح له أثر عظيم على الفرد؛ من سلامة الصدر، والمحبة، والتعاون، والإخاء، والتسامح صفة حضارية, كفيلة بإثراء علاقاتنا وارتقاء مجتمعاتنا ونشر السلام, ويزيد من الانسجام والترابط بين الأفراد في الوطن الواحد، وانعدام التسامح يعني فتح الأبواب للدخول في صراعات عرقية ورفض الآخر.

وإنّ سرَّ تقدم الشعوب والأمم وقوتها تكمن في محبّة أبنائها وتسامحهم فيما بينهم، فتحمي بذلك مجتمعاتها ومكتسباتها، وتصنع لأجيالها حاضراً ومستقبلاً أفضل، فالتسامح والمحبة والسلام وروح التعايش المشترك بين أبناء الوطن، على اختلاف عقائدهم وثقافاتهم وطبقاتهم الاجتماعية، وتعزيز ثقافة حقوق الإنسان بمختلف أشكالها، هي تعبير عن الإنسانية وطريق ليسود العدل والحرية والمساواة.

ولكون التسامح قيمة إنسانية وتفعيله يرسي قوانين أكثر إنسانية؛ لذا يُفرض على الدول التفكير وإعمال العقل لاستنباط مخارج تجنب البشرية العنف والتعصب[٣], وبيان طرق إرساء التسامح.

والآيات القرآنية التي تحثُّ الإنسان على ممارسة الصفح والعفو والإحسان إلى الآخرين كثيرة, والسيرة النبوية المليئة بالمواقف النبيلة لنبيِّ الرحمة في حسن التعامل والعفو عن النّاس؛ تدفع الإنسان وتشجعه على البحث عن السبل والوسائل الممكنة لممارسة التسامح وتفعيله, ولكن لا مجال لذكرها في هذه العجالة.

وانطلاقاً من الإحساس بأهمية التسامح الديني في حياة الفرد والجماعات؛ فإنّ المتدينين جميعاً مدعوون إلى العمل على إيجاد الوسائل المشروعة والملائمة, التي يمكن أن نلجأ إليها لتعزيز التسامح في المجتمع المتنوع, ولكون أنّ هذا البحث مخصص للبحث عن الوسائل والطرق التي يمكن أن تفعّل قيم التسامح في المجتمع؛ فإنّنا نحاول أن نبيّنها, على مستوى الفرد والجماعات والدول, وفي ما يلي بعض من تلك الوسائل والطرق:

١- العمل على تثقيف الفرد المتديّن وتشجيعه على القراءة المتنوعة

إذا أردنا أن نفعِّل مبدأ التسامح؛ ينبغي أن نحرص على توسيع نطاق معارفنا ليشمل مصادر متنوعة، وألاّ تقتصر معارفنا على مصادرنا الفكرية فقط. فالإنسان بغريزته يرفض ما لا يفهمه, أو يتجاهله. والنّاس بفطرتهم أعداء لما يجهلون، وعقولهم تحاول حمايتهم ممّا لا يدركون عواقبه, ويرون أن فيه خطراً محتملاً.

علينا أن نتمتع بالفضول, وأن نقرأ و نوسّع نطاق قراءاتنا ونجعلها متنوعة, لتشمل مختلف الأفكار والمشارب الفكرية, ولا نتنكَّب على مصدر واحد، بل نقرأ عن الحضارات المختلفة والأديان المتنوعة من مصادرها، فهذا كفيل بإضاءة المناطق المظلمة في تصوراتنا نحو الآخر.

لأنّ الثقافة, في ضوء تعريفه, مركب يشمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف, وغير ذلك من الامكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في مجتمع[٤]., فبإمكانها أن توسع مدارك الفهم والقبول والتنوع والاختلاف, لدى الفرد المثقف.

---

[١] موقع: alhiwartoday.net/node. تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٢/١٤.
[٢] تسامح الإسلام وتعصب خصومه, د.شوقي أو خليل, ص٥٤.
[٣] مفاهيم فلسفية,د. رمضان بسطاويسي, ص٩.
[٤] نظرية الثقافة, مجموعة مؤلفين, ص٩.

والثقافة باعتبارها مشتركاً إنسانياً, يساعد على التقارب والتعارف, ومن ثمَّ التعايش[١], إذ تؤدي هذه الثقافة دوراً مهماً في حياة الإنسان, بل هي جزء مهم في حياته, كعضو في مجتمع, ومن هنا تحتلّ الثقافة مكاناً بارزاً في دراسات علم الاجتماع والإنتربولوجيا الثقافية والاجتماعية[٢], والإنسان بطبيعته السوية لديه استعداد وقابلية هائلة للتنوّع والتغيُّر في حركة حية, وهذا ما أفضى إلى تباين أشكال الحياة, وصور التعبير عن الحياة, وسبل الأخذ بالحياة والتعامل معها...تنوُّع في النظر إلى الكون والوجود وعناصر الحياة, ففي التنوّع والتعدّد والاختلاف حياة الإنسانية وارتقائها, ومن ثمّ تنوّع في فهم أبعاد وتجليات المكونات الثقافية للثقافة ذاتها[٣]. لأنّ عالم اليوم في أشد الحاجة إلى المعرفة والتسامح والعيش الإيجابي بين الناس, نظراً لأنّ التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم, بفضل ثورة المعلومات والاتصالات والتكنلوجيا التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب, وأصبح الجميع كأنّهم يعيشون في قرية كونية صغيرة[٤].

إنّنا بحاجة ماسة إلى فهم عميق للأفكار في هذه الأيام, بحيث صار الفارق بين إنسان وآخر متمثلاً في قدرته على الفهم والاستفادة من المعلومات. فالذين استطاعوا تجاوز العقبات والإتيان بالأشياء العظيمة وحصلوا على القفزات العلمية والإبداعية, ليسوا أولئك الذين استسلموا للمقولات والمفاهيم السائدة في الساحة العلمية والتراث القديم, ولا الذين يتبرمون بالنتائج التي خالفت توقعاتهم, وإنّما أولئك الذين يملكون العقل المنظّم, الذي يصطدم بالمشكلات الكبيرة والمحيِّرة والمعضلات الغامضة ويمنحها الرعاية والملاطفة, حتّى يجد مخرجاً أو برهاناً على محكّ التجربة والاختبار... وتوسيع قاعدة الفهم يتطلب منّا أن نؤكِّد, دون ملل, ضرورة وضع معارفنا وأفكارنا في موضعها الصحيح المعرفة البشرية, وصاحب الفهم الصحيح يحاول دائماً أن يجعل أفكاره متساوقة مع حجم البراهين المتوفرة لديه, فعلى مقدار صلابة المعلومات؛ تكون صلابة الأفكار ـودرجة الوثوق بها... ومن المهم جداً أن نعمل على تكوين عقلية وذهنية مرنة, ونجعلهم يدركون الفروق والاختلاف بين البشر, وأنّ الله قد خلقهم مختلفين, ليكمل بعضهم بعضاً,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ...وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ ﴾ (الزخرف: ٣٢). ونعلمهم أنّ في الاختلاف ثراء وتنوع وإخصاب وتعاون, وهو عامل أساسي في توازن الحياة[٥], حتّى يكون علمنا كاملاً للأمور والأشياء, لأنّ القدماء قالوا أنّ نصف عالم أضرُّ على الأمة من جاهل.

والإنسان كائن قابل للتعلُّم, وكذلك الإنسانية كلُّها, لذا فالاستمرار في التعلم يكتسب الإنسان المرونة وكيفية استخدامها في نوعية الحياة, قال نيتشه:"إنّ النمو في الحكمة يقاس بدقّة بانخفاض المرارة"[٦].

٢–التربية على قبول التنوع وتقدير قيمته الحضارية

التربية هي الأسلوب والأداة التي تضع الإنسان في بداية طريق النمو, والاستفادة من الوسط الاجتماعي القائم, وبالتربية وحدها يمكن للإنسان أن يتأصّل للعيش في مجتمع[٧]. فالإنسان لا يملك شيئاً من مقومات الإنسانية, كاللغة والفكر والمشاعر والأخلاق.... ولا ينتقل إليه بالوراثة, بل ينتقل إليه من خلال التربية الأسرية والاجتماعية[٨], والإنسان إذا ولد ولم يربّيه إنسان؛ فهو لا يملك شيئاً من مقومات الإنسانية, ويكون مديناً لما يخوّله أن يعيش متمتعاً بإنسانيته إلى التربية لا إلى الطبيعة[٩].

ويؤكد ول ديورانت على أنّ الحضارة هي ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة, وأنّها نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من انتاجه الثقافي[١٠], ومن المؤكد أيضاً, أنّ عدم قبول الآخر, هو وراء الصراعات بكلِّ ألوانها وأشكالها[١١], فالاحترام وقيمة التنوع في أفكار النّاس وخلفياتهم العرقية، سرُّ نجاح الكثير من الجماعات والمؤسسات التعليمية والثقافية والدينية، لأنه يثري التفكير الإبداعي بتظافر طرق تفكير مختلفة.

لذا فنحن جميعاً مدعوون إلى إيقاظ ضمائر المواطنين, وخاصة المتدينين منهم, بحيث يدركون ضرورة التعددية التي تتطور مع تطور أوضاع الجماعات, بحكم العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية, لأنّ الخلافات القائمة ناجمة عن هذه العوامل مجتمعة[١٢].

وإذا دققنا المصادر الدينية, بتنوعها, لوجدنا أنّها تتفق في أنّ فكرة قبول الآخر هي القاعدة الأساس لعالم تسوده العدالة, وتؤمن أنّ العدل والرخاء والسلام من أهم البنود التي يمكن أن تصوِّر عالماً يعيش فيه الإنسان دون أن يتصارع مع أخيه الإنسان[١٣].

ومن أجل تفعيل التسامح يجب تطوير البيئة العلمية والمناهج التعليمية, لتشيع ثقافة التعدد والتنوع والاحترام والابتعاد عن القوالب النمطية في فهم الآخر، فالجاهل لا يمكن أن يتحاور ولا يمكن أن يتسامح[١٤].

---

[١] المشترك الإنساني, د. راغب السرجاني, ص٤٤٧.
[٢] نظرية الثقافة, مصدر سابق, ص٩.
[٣] مشكلة الثقافة, مالك بن نبي, ص٤٣.
[٤] مفاهيم فلسفية, مصدر سابق, ص١١٣.
[٥] حول التربية والتعليم, د.عبدالكريم بكار, ص٨٤-٨٨.
[٦] قصة الفلسفة, ول ديورانت, ص٤٩٤.
[٧] حول التربية والتعليم, مصدر سابق, ص٢٠, ٢٣)
[٨] المصدر نفسه, ص٢٠.
[٩] فلسفة التربية, ئوليفيه ربول, ترجمة د.جهاد نعمان, ص٤٨.
[١٠] قصة الحضارة, ٣/١.
[١١] قبول الآخر, مصدر سابق, ص١٦.
[١٢] توجيهات في أصل الحوار بين المسيحيين والمسلمين. موريس بورمانس, ٣٥.
[١٣] قبول الآخر, مصدر سابق, ص١٧.
[١٤] موقع: http://www.ahewar.org.تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/١٥.

٣-الاختلاط بالآخرين ومحاولة معرفتهم من الداخل

كلُّ منّا يعيش حياةً واحدةً، تصيغ أفكاره وأولوياته وتفضيلاته.. لكن هناك طريقة تجعلنا نعيش حياة أخرى، وهي الانخراط في تذوق الفنون والآداب المختلفة, فكرياً وأخلاقياً واجتماعياً. فهذا يدربنا على إدراك التنوع الفكري والدوافع المختلفة للأشخاص. فالذي يخالفنا ليس مرفوضاً، بل قد تكون رؤيته للحياة مختلفة عنا. فالمعايشة الإنسانية ومخالطة الناس من جنسيات وأديان وثقافات مختلفة، واتخاذ أصدقاء متنوعي الخلفيات المعرفية، كفيل بتحسين صورة الآخر وتقييمه بشكل صحيح.. والقدرة على القراءة وتوسيع المدارك لا يتمتع بها كثير من الناس، لذلك يمكن سد هذه الفجوة بخبرات الحياة، التي تكفلها مخالطة الآخرين والتواصل معهم. وعلى الرغم من أن نشاط المطالعة غالباً ما يكون نشاطاً فردياً، إلاّ أنّه بعيد كلَّ البعد عن كونه محرضاً على العزلة، حيث تمنح الروايات والقصص القارئ فرصة الاندماج داخل شبكة اجتماعية متخيلة عبر التواصل ذهنياً ووجدانياً مع العالم المتجسد في صفحات القصة التي يقرأها، الأمر الذي ينعكس في المحصلة على قدراته الاجتماعية في الواقع[١].

إنّه من الواجب على المتدين أن يسلك كلَّ الطرق, بقدر المستطاع أن يدخل الخبرة الدينية للطرف الآخر, لكي يفهم من الداخل. وهذا لا يعني أن نضع إيماننا جانباً, بل العكس هو الصحيح, إذ أنّ الصدق والنزاهة يقتضيان من مختلف الأطراف أن يلتزموا بالحوار, وكذلك بوفائهم الكامل لدينم[٢].

وأولى الخطوات لسلوك هذا الاتجاه؛ هو تطوير الخطاب الديني وتجديده, وإزالة ما يعيق هذا الخطاب من عراقيل, مثل الجهل والتخلف والعنف والتطرف ومحاربة الذهنية المغلقة, التي ليست على استعداد للانفتاح وقبول التحدي, بل مغلقة بذهنية الجاهلية, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ (الزخـــرف: ٢٣), بحيث يرفض معظم المتدينين تغيير ما ورثوه من تقاليد, وهي مجافية لروح الدّين وآدابه, ويرفض أن يناقشها, ويتصوّر أنّ مناقشة تلك القضايا والأفكار والأعراف؛ كأنّه يهدم الهيكل على الرؤوس, وينسف الدّين من الأساس[٣].

٤- تفعيل الحوار الديني

إنّ القرآن الكريم هو كتاب حواري , بحيث نجد أنّه يخاطب المؤمن والكافر والملحد وأهل الكتاب, والعاقل والصغير والكبير.. لذا يجب أن نعمل على تفعيله على نهج القرآن الكريم, ولا نقصد بتفعيل الحوار, عقد الندوات والحوارات والمؤتمرات فقط, بل نعني به أن نلمسه ونرى ثماره في الواقع أيضاً, وذلك من خلال تبادل الزيارات واللقاءات العملية بين المختلفين, وتفعيل السبل التي تؤدي إلى تسهيل معرفة الآخر, فكرياً واجتماعياً.

ولا نقصد بالحوار أيضاً, أن يقتصر على تبادل الكلمات, بل نقصد به الحوار الإيجابي المثمر الهادف, يحقق نتائج عملية, متمثّلة في المصلحة, حتّى لو كانت هذه المصلحة مجرد المعرفة بالشعوب الأخرى, فهذا في حدّ ذاته مصلحة للإنسانية[٤]. لأنّ الهدف من الحوار ليس فقط فكَّ الاشتباك بين الآراء المختلفة, وإنّما هدفه الأكبر إثراء الفكر وترسيخ التسامح, وتمهيد الطريق للتعاون المثمر, الذي يعود بالخير للجميع[٥].

وأنّه من الثّابت أنّ الحوار إذا اكتفى بالسعي إلى مجرد الاجماع القانوني في المجتمعات التعددية, فلن يكون ذلك كافياً. بل على الدولة أن تكون محايدة في نظرتها إلى العالم, غير أنّها مع ذلك تحتاج إلى إجماع أساسي أدنى حول بعض القيم والقواعد والمواقف الخاصة, لأنّه بدون هذا الاجماع الأدبي الأساسي يتعذر قيام مجتمع جديد...ولا يمكن لمجتمع إنساني خال من الاختلاف أن يستمر في البقاء[٦]. فلن يضير الخطاب الإسلامي أن يكلِّم الناس والأمم والشعوب على قدر عقولهم, أسوة بمنهج الرسول الخاتم(ص). ولن يضير أيضاً أن تصوّغ هذه الأمّة خطابها الإعلامي والسياسي والثقافي والفكري على قاعدة المشاركة في عملية التغيير التي تؤمن بضرورتها, إذ لا يمكن للخطاب الإسلامي أن يأخذ مكانه العلمي في عصر ثورة الاتصالات المعلوماتية, ما لم يتجاوز شعار الاكتفاء بخصوصيته, ويراجع هذه الخصوصية لاكتشاف عوامل القوة والضعف فيها[٧].

وفي نظر الكنيسة المسيحية أيضاً أنّ الحوار جزء أصيل من رسالتها, لا مجرد عنصر خارجي أو طريقة مفيدة للتبشير بالإنجيل, وفي هذا الحوار يُطلب من المسيحيين وسواهم أن يعودوا إلى الله على نحو أعمق, إذ ليس هدف الحوار ردُّ غير المسيحيين إلى الدين المسيحي؛ بل الاغتناء المتبادل والمشاركة الروحية مع الذين لا ينتمون إلى دين المسيحية[٨].

ولكي يكون الحوار مثمراً وفعّالاً, علينا أن نستنبط الأساليب الحوارية التي أرشدنا القرآن الكريم إليها, منها:

أ-الحرص على أن يكون الحوار بالتي هي أحسن, وليس اختيار الأسلوب الحسن, لأنّه من شأنه أن يبعث على تأليف القلوب وتشجيعها على التواصل والقبول, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾

ب-الحذر من التعرض إلى المعتقدات بسوء, حتّى مع المشركين, لأنّه يفتح باب الاشتباك ويقلل فرص نجاح الحوار وجني ثماره, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ (الأنعام: ١٠٨).

---

[١] موقع: www.alanba.com.kw. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/١٧.
[٢] عالم واحد للجميع, مصدر سابق, ص٩٣.
[٣] اجتماعيات الدين, حسين أحمد شحادة, ص٣٧.
[٤] المشترك الإنساني, مصدر سابق, ص٥٨٨.
[٥] مفاهيم فلسفية, مصدر سابق, ص١١٧.
[٦] عالم واحد للجميع, مصدر سابق, ص٨٦.
[٧] اجتماعيات الدين, مصدر سابق, ص٣٥.
[٨] عالم واحد, مصدر سابق, ص٩٢.

ج-ترك الحكم على الخطأ والصواب لله يوم القيامة, لأنّ الكلّ راضون بمعتقداتهم, ولا يتنازلون عليها بسهولة,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٨).

د- اتخاذ منهج النزول في الحوار, وهو منهج القرآن الكريم وأسلوب دعوة الرسول-صلى الله عليه وسلّم- وهو غاية الأدب والسموّ بالأخلاق,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ..وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ..﴾ (سبأ: ٢٤).

ه-الحرص على أن يكون للحوار هدف وغاية, يريد الطرفان الوصول إليه. وهذا يتحقق إذا كان الطرفان يملكان الإرادة للوصول إلى نتيجة, يقول ابن تيمية:" المناظرة والمحاجّة لا تنفع إلاّ مع العدل والإنصاف"[١].

٥-التأكيد على المشتركات بين بني البشر

إننّا إذا أمعنّا النظر في أحوال الشعوب والحضارات, لوجدنا أنّ البشر متفقون في أمور لا حصر لها, ومشتركون ما لا يمكن حصره من مشتركات, ونحن محتاجون إلى البحث عن تلك المشتركات الكثيرة[٢], ولهذا فهناك العيش المشترك, وليس عيشاً واحداً, لأنّ لكلّ دين علوم إنسانية خاصة, علينا أن نبحث عن العناصر التي تعطي للعيش المشترك مضموناً حقيقياً, لا كلاماً إنشائياً فقط[٣]. فالإنسان بطبيعته غير متكامل, وبيئته غير متكاملة, فإمّا أن يتعارف مع أخيه الإنسان, لتحقيق مصلحة مشتركة, أو يتصادم معه لتحقيق مصلحة ذاتية ناقصة, والقرآن الكريم ينبّه الناس إلى هذه الحقيقة, ويؤكّد أنّه خلقهم من أجل التآلف والتعارف, لا التصادم والتقاتل, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..﴾(الحجرات: ١٣). ولقد اتفقت الكثير من العلوم الإنسانية على أنّ وصول الإنسان إلى المدنية والتقدم الحالي-وهي مصلحة مشتركة- لم يأتِ إلاّ من خلال التقارب والتعارف[٤]. ويرى ابن خلدون أنّ تحقيق مصلحة الإنسان تأتي من خلال تطويع هذه الأرض وتسخيرها لخدمته, وهذا ما جعلته يبحث عن مثيله وبني جنسه, ليساعده في تحقيق ما يريد.... وأنّ الواحد من البشر لا تقاوم قدرتُهُ قدرَةَ واحدٍ من الحيوانات العُجم, لا سيما المفترسة, فهو عاجز عن دفعها وحده بالجملة, ولا تفي قدرته, أيضاً, باستعمال الآلات المُعِدّة لها, فلابدَّ في ذلك كلِّه من التعاون عليه بأبناء جنسه, وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوتٌ ولا غذاءٌ ولا تتم حياته ...فإذا كان هذا التعاون؛ حصل له القوت للغذاء, والسلاح للمدافعة, وتمَّت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه, فهذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني, وإلاّ لم يكمل وجودهم, وما أراده الله من اعتمار العالم بهم, واستخلافه إيّاهم[٥].

وتحرير النفس من الخدع والغوغاء والتنظير المتطرف, والعمل على ممارسة الصبر الجميل, والصدق وحسن الجوار, واحترام الاختلاف, والاعتراف به, هي سنة إلهية, والسنن هي عين العدل والحكمة, وهي في الوقت نفسه, أهم عناصر تحقيق العيش المشترك[٦], لأنّ التنوع والاختلاف والحرية متعلق بالإرادة الإلهية, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩). لذا يجب أن نعمل على تفعيل ثقافة الحق بالاختلاف[٧], بين المختلفين, ونشعرهم على أنّه ضرورة اجتماعية.

في هذا العصر يتقارب فيه بنو البشر, تقارباً وثيقاً وتنمو فيه علاقات بين المختلفين, على مستوى الأفراد والشعوب والجماعات, وعليه(فالتأكيد على ما هو مشترك بين النّاس من شأنه أن يعزز أواصر المودة بينهم, والتأكيد أيضاً, على أنّ جميع النّاس يؤلفون جماعة واحدة, تنحدر من أصل واحد, وتسير نحو هدف واحد)[٨].

والمصلحة المشتركة هي التي حرَّكت الشعوب إلى أماكن الخصب والمياه, فتعارفت هذه الشعوب وتعايشت, بل تتزاوج, مكوّنة المجتمع الإنساني الأول القائم على مبدأ التعايش السلمي[٩]. وأنّ قيام الدول, لا تأتي إلاّ من خلال التعاون والتآلف, ينقل ول ديورانت عن شعوب في جنوب المحيط الهادئ, ويقول: "كان لهم شباك طولها ألف ذراع, لا يستطيع استخدامها إلاّ مائة رجل مجتمعين, وبمثل هذا تطورت وسائل ادخار القوت جنباً إلى جنب مع النظم السياسية, وكان اتحاد النّاس في تحصيلهم للقوت, ممّا أعان على قيام الدولة"[١٠].

وقد اهتمّ البابا يوحنا بولس الثالث, بالقضايا المشتركة في رسالته المسماة:(في عصرنا), ودعا المسيحيين والمسلمين إلى الاهتمام بصيانة الابعاد الروحية للشخص البشري, ودعم القيم الروحية والخلقية في المجتمعات المهددّة بالمادية والأنانية, وختم إرشاده الرسمي بالقول: على المسلمين والمسيحيين أن يصونوا السلام والحرية والعدالة الاجتماعية والقيم الخلقية ويعملوا على تعزيزها[١١].

---

[١] مجموع الفتاوى, ابن تيمية, ١٠٣/١١.
[٢] المشترك الإنساني, مصدر سابق, ص٩، ١٠.
[٣] العدل في المسيحية والإسلام, عادل ثيودور, ص١١٣, ,١١٥.
[٤] المشترك الإنساني, مصدر سابق, ص١٦.
[٥] المقدمة, ابن خلدون, ص٤٣.
[٦] العدل في المسيحية والإسلام, مصدر سابق, ص١٣٧.
[٧] اجتماعيات الدين, مصدر سابق, ص٣٣.
[٨] عالم واحد للجميع, مصدر سابق, ص٩٧.
[٩] المشترك الإنساني, مصدر سابق, ص٢٥.
[١٠] قصة الحضارة, ول ديورانت, ١٢/١.
[١١] عالم واحد للجميع, مصدر سابق, ص١٠٢.

٦-تعزيز التنافس على الخير العام

الدّين يوجب على الإنسان أن ينهض بمسؤوليته الدينية والدنيوية, وأن يحرص على تقديم ما هو أنفع لنفسه وغيره, وهذا المبدأ نجده عند أتباع كلّ ديانة, فلو حاول المتديّن توظيف هذا المبدأ والعمل على تفعيله؛ لأصبح هذا الخير والنفع الذي يسعى إليه نافعاً للجميع. ومن أجل هذا نجد القرآن الكريم يأمرنا بفعل الخير, قَالَ تَعَالَى:﴿ ...وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (الحج: ٧٧), بل يأمرنا بالتسابق على فعل الخيرات,قَالَ تَعَالَى:﴿ ...فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ... ﴾ (المائدة: ٤٨), أي: بادروا إليها وأكملوها، فإنّ الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقاً لغيره مستولياً على الأمر، إلاّ بأمرين: المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور[١].

فالإنسان الايجابي هو الصالح لنفسه والمصلح لغيره, يجب عليه الاهتمام بنفسه ودعوته للخير وزجرها عن الشر, فإنّ روح المبادرة دليل إلى النجاح والتفوّق، والحياة مليئة بفرص الخير, ومجالات التقدم كثيرة , ولكن يقلُّ مَن يتقدم لنيل المبادرة وقصب السبق ونحن متفاوتون في طريقة استقبالنا لمثل هذه الفرص... فالقوي هو مَن زجر نفسه عن المعاصي, فالمسلم مسؤول عن نفسه وعن زوجته وأبنائه وعن مجتمعه ووطنه، لذلك فهو يقف دائماً موقفاً إيجابياً, يعمل الخير ويحس عليه ويتنافس فيه[٢].

٧– إقرار احتمال صواب الرأي وخطأه

هذا مبدأ عظيم, حيث لا يدرك عظمته إلاّ مَن آمن بهذه القاعدة ومارسها, فمهما بلغ الإنسان من الكمال؛ فمن المحتمل أن يكون مخطئً. فالأولى أن نتسامح مع المختلف عنّا فكرياً، لأنه قد يكون على قدر من الصواب. ولا نتطرف لرأينا الشخصي ونثق فيه ثقة عمياء، لأنّ اعتقادنا بأنّنا على صواب؛ قد لا يعني بالضرورة أنّنا كذلك فعلاً, أفكارنا هي نتاج تجاربنا وظروف حياتنا والمدخلات المعرفية التي تعرضنا لها, بل وحتى تكويننا الجيني، وكل هذا يختلف من شخص لآخر.. لهذا من المستحيل أن يتطابق النّاس في طريقة تفكيرهم. لذا علينا أن نمتع بفضيلة الشك, ونضع في بالنا أنّ رؤيتنا للعالم والأشياء قد تكون غير دقيقة, أو غير كاملة. فلا ترفض احتمال ظهور أدلة جديدة قد تدعم وجهة نظر أخرى[٣]. وهذا ما صار عليه نبيُّ الرحمة في حواراته مع المشركين, بحيث أسند إلى نفسه احتمالية الخطأ والضلال, رغم أنّه صاحب الوحي وحامل رسالة الحق,قَالَ تَعَالَى:﴿ ...وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (سبأ:٢٤), أي قل لهم: إنّا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنّكم على ضلال أو هدى[٤]. وقال الرازي في تفسير الآية: هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ إِلَى الْمُنَاظَرَاتِ الْجَارِيَةِ فِي الْعُلُومِ وَغَيْرِهَا..فَإِذَا قَالَ لِلْآخَرِ هَذَا الَّذِي تَقُولُهُ خَطَأٌ وَأَنْتَ فِيهِ مُخْطِئٌ يُغْضِبُهُ وَعِنْدَ الْغَضَبِ لَا يَبْقَى سَدَادُ الْفِكْرِ وَعِنْدَ اخْتِلَالِهِ لَا مَطْمَعَ فِي الْفَهْمِ فَيَفُوتُ الْغَرَضُ، وَأَمَّا إِذَا قَالَ لَهُ بِأَنَّ أَحَدَنَا لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهُ مُخْطِئٌ وَالتَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ قَبِيحٌ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ أَحْسَنُ الْأَخْلَاقِ فَنَجْتَهِدُ وَنُبْصِرُ أَيُّنَا عَلَى الْخَطَأِ لِيَحْتَرِزَ فَإِنَّهُ يَجْتَهِدُ ذَلِكَ الْخَصْمُ وَيَتْرُكُ التَّعَصُّبَ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ نَقْصًا فِي الْمَنْزِلَةِ لِأَنَّهُ أَوْهَمَ بِأَنَّهُ فِي قَوْلِهِ شَاكٌّ, مَعَ أَنَّهُ لَا يَشُكُّ فِي أَنَّهُ هُوَ الْهَادِي وَهُوَ الْمُهْتَدِي وَهُمُ الضَّالُّونَ وَالْمُضِلُّونَ[٥]. والإمام الشافعي كان على يقين أنّه على حق, ورغم ذلك قال: رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب. وفي موضع آخر يقول: مَا نَاظَرْتُ أَحَدًا قَطُّ عَلَى الْغَلَبَةِ وَوَدِدْتُ إِذَا نَاظَرْتُ أَحَدًا أَنْ يُظْهِرَ اللَّهُ الْحَقَّ عَلَى يَدَيْهِ[٦].

٨-البحث عن الطرق العملية للتعاون

إنّ مبدأ التعاون على تحقيق الخير العام وارد في الأديان السّماوية وغيرها من الأديان, وهذا الأمر واضح في القرآن الكريم, حيث يأمر بالتعاون في المصالح والأمور النافعة, قَالَ تَعَالَى:﴿ ...وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ... ﴾ (المائدة:٢). يقول الإمام الزمخشري: تعاونوا على العفو والإغضاء, وَلا تَعاونوا على الانتقام والتشفي[٧]. ولكن يبقى الأهم من ذلك البحث عن الطرق العملية لممارسة التعاون, يقول حسين فضل الله: إنّ الأمّة القرآنية لا تستطيع الحفاظ على هويتها وبقائها, إلاّ من خلال إرادتها القادرة على تحويل الأفكار إلى برامج عمل, مرتبطة بأهداف القرآن وغايته[٨]. ومن المؤكّد أنّ الإنسان إذا تخلّى عن التعاون والتعارف والبحث عن المصالح المشتركة؛ فإنّه ينزل إلى المستوى الأدنى من عالم الحيوان[٩].

فما دام التعاون أمراً إلهياً, وتتحقق به مصالح النّاس؛ فقد بيَّن النبّيُّ-صلى الله عليه وسلّم- الطرق العملية المؤدية إلى التعاون على الخير, منها: إرشاد النّاس إلى العمل الخيّر وحثّهم عليه, حيث قال:{ الدَّالُّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ}[١٠], ودلَّ أيضاً أنّ العمل على إيصال النفع إلى النّاس وسيلة أخرى من وسائل إحياء التعاون بين الخلق, يقول الرسول:{ المؤمنُ مَألوفٌ, ولا خَيْرَ فيمَن لا يـألَفُ ولا يُؤلَفُ, وخَيْرُ النّاسِ مَن نَفَعَ النّاسَ}[١١].

---

[١] تفسير السعدي, ٢٣٤/١.
[٢] موقع: https://al-sharq.com. تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/١٩.
[٣] موقع جريدة الاتحاد الإماراتية: www.alittihad.ae/.تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/٧.
[٤] تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.
[٥] تفسير الرازي: ٢٠٥/٢٥.
[٦] المجموع: ١٢/١.
[٧] تفسير الكشاف, الزمخشري ٦٠٣/١.
[٨] اجتماعيات الدين, مصدر سابق, ص٣٥.
[٩] المشترك الإنساني, مصدر سابق, ص٤٠.
[١٠] سنن الترمذي, ٣٢٨/٤, رقم الحديث: ١٤.
[١١] شعب الإيمان, البيهقي, ١١٧/٦ رقم الحديث: ٧٦٥٨.

ومن جهة أخرى, الإسلام يمد يد المصافحة للأديان الأخرى والمخالفين له, لتحقيق التعاون, من أجل إقامة العدل ونشر الأمن وصيانة الدماء وحماية الحرمات[١], قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة: ٨).

وجاء في الإنجيل:{ كلُّ مَن سقى كأس ماءٍ باردةٍ لأحدِ أخوتي هؤلاء الصغار فأجره لن يضيع}[٢], وجاء:{ لأنّ الخدمة واجب على الإنسان, فالكبير لا يكبر بالقهر والاستغلال, بل بالخدمة, تشبُّهاً بالمسيح الذي ما جاء لِيُخدَم, بل لِيَخدُم}[٣], وتعتبر المسيحية التعاون والتضامن والعزم والثبات في العمل معاً, فضيلة من أجل خير البشرية. ذلك لأنّ الجميع مسؤول عن الجميع[٤].

ويوجد في الزرادشتية قاعدة ذهبية في تقديم الخير للنّاس ومنع الشرّ عنهم, حيث جاء:{ الطبيعة لا تكون خيّرة إلاّ إذا منعتْ صاحبها أن يفعل بغيره ما ليس خيراً له هو نفسه}[٥].

٩-جعل المبادئ الملزمة في الأديان قواعد لإصلاح الواقع نحو الأفضل

نحن دائماً نشتكي أنّ الواقع شيء والنصوص شيء آخر, فالكمال والجمال الذي نلمسه في النصوص, قد لا نجده في الواقع المعاش. ومن المؤكّد أنّ التقصير في الواقع المعاش لا يعني بالضرورة التقصير في نصوص وتعاليم الأديان, بل يقع التقصير على عاتق المرء, الذي يمثل الدّين.

فالإنسان إمّا أن يعيش وفق مبادئه, فينتقل إلى طور الإنسانية, أو يحرص على تحقيق مصلحته, فينتقل إلى طور التوحش, يقول د. عبدالكريم بكّار:" إذا أراد المرء أن يعيش وفق مبادئه وأراد تحقيق مصلحته؛ فكأنّه يجمع بين النقيضين, وإذا تحققت المصلحة على حساب المبدأ؛ فهذا يعدُّ انتصاراً لشهوة أو غرض. أمّا الانتصار للمبدأ على حساب المصلحة؛ فإنّه بمثابة التربُّع على قمّة الشعور بالسعادة والرضى والنصر والثقة بالنفس[٦]. حينها يمكن التحدّث عن إصلاح المجتمع نحو الأفضل.

لذا يستوجب البحث عن الطرق العملية لتمكين المبادئ والنصوص في الواقع, فلا يجوز أن تكون التعاليم الدينية أسيرة وجهات نظر ومواقف عقائدية, قامت في زمن معين, أو تكون قد وقعت تحت تأثيرها, ثمّ تستعمل أداةً لتبرير بعض التصرفات العملية, لذا يجب أن نقابل تلك التصرفات بالنقد الفكري[٧].

فالمبادئ التي يؤمن بها أهل الأديان, مثل الخير والأخوة والاحترام والسلام والتقدم..... يجب أن تتحوَّل إلى واقع ملموس, لأنّ الهدف من بعثة الأنبياء-عليهم السلام- هو الحيلولة دون الانفصام المعنوي لبني الإنسان, والتشتّت المعنوي والروحي. وهو عين ما أخبر عنه القرآن الكريم ودعا إليه, وعدَّه الأسلوب الطبيعي الوحيد لحياة هانئة حافلة بسيادة الإنسان والمجتمع العالمي[٨].

وكذلك يتحدث القرآن الكريم عن مشروع الأمّة الواحدة, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(الأنبياء:٩٢), قال ابن عباس ومجاهد: أي أنّ دينكم واحد[٩]. أو كما جاء في حجّة الوداع: {أَيُّهَا النَاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ, كُلُّكُمْ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَى[١٠].

ولكي تكون المبادئ الملزمة أكثر فاعلية لإصلاح الواقع؛ يجب العمل على تحقيق ما يلي[١١]:

أ-اعتماد الحوار بين سائر الأطراف, والانطلاق منه على أنّه مبدأ إنساني, واعتبار ذلك حقيقة واقعية, ناجمة عن تساوي الناس في الخلق والعرق, والحق في العيش الكريم, والذي لا يتحقق إلاّ بالتعاون والاشتراك.

ب-التأكيد على وجود القيم الإنسانية المشتركة, مثل الحفاظ على النفس والدين والخلق والعرض والعقل والمال, وأنّها تتلاقى في المسائل المصيرية, وهي من حقوق الإنسان, أيّاً كان, وإن اختلفت مصادرها.

ج-اعتبار الفقر والعوز المشكلة الإنسانية الرئيسة, والتي ينبغي التصدي لها, لصون الإنسان وكرامته.

د-اعتبار الحرب ممارسة غير إنسانية, لأيّ هدف كان.

ه-اعتبار التقدم الإنساني هدفاً ذا أولوية, عن طريق التنمية المستدامة.

و-اعتبار السلام الفردي والدولي والديني والثقافي؛ قيمة إنسانية مؤسسة على مبدأ الحرية.

---

[١] التسامح, في الإسلام, مصدر سابق, ص٥٠)

[٢] (متّى, ١٠:٤٠-٤٢)

[٣] (مرقس, ١٠:٤١-٤٥)

[٤] (المبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة الاجتماعي, الأب كميل مبارك, ص١١٩).

[٥] قصة الحضارة, مصدر سابق , ٤٣٢/٢).

[٦] المدخل إلى التنمية المتكاملة, د.عبدالكريم بكّار, ص١٦٧-١٦٨.

[٧] عالم واحد للجميع, مصدر سابق, ص١١١.

[٨] المصدر نفسه, ص١٣٨.

[٩] تفسير الطبري, ٥٢٣/١٨.

[١٠] الحاوي الكبير, الماوردي. ١٨٧/١٤.

[١١] التسامح مجلة فصلية إسلامية. مقال عبدالرحمن السالمي حول المسؤولية المشتركة, ص٢٧٧-٢٧٨.

١٠- العمل على تحقيق العدل والمساواة بين النّاس

المبدأ الأساس في الإسلام هو أن يحيا النّاس في مودّة وسلام,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ ﴾ (البقرة: ٢٠٨), ويحرص على مبدأ الحريّة الدّينية, وعلى أن لا يكون الدِّين سبباً للعداوة والبغضاء, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ... ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

ومن خصائص الإسلام أيضاً, أنّه رسالة إنسانية, لا تحكم على الثقافات والديانات أخرى بالإعدام, ويرفض إكراه النّاس على ترك ملّته, بل يرضى أن يتألف المجتمع من مسلمين وغير مسلمين[١]. وعلى هذا, فالعمل على ترسيخ قيم العدالة والمساواة بين فئات المجتمع الواحد؛ من الفروض الدينية والضروريات الآنية, حيث يقع هذا الواجب على عاتق المتدينين, وخاصة الذين يتكلمون باسم الدّين.

١١- إقامة مجتمع مدني يحترم الإنسان

إنّ من ضروريات تثبيت قيم التسامح, هو بناء إنسان, ومن ثمّ مجتمع يؤمن بقيمة الإنسان. ويستوعب المعاني الإنسانية العظيمة المستنبطة من قَوْلِهِ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾(الإسراء:٧٠). أي, كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم[٢]. وهل هناك تكريم لبني آدم أعظم من أنْ يُعدّ لهم مُقوّمات حياتهم قبل أنْ يخلقهم؟ لقد رتّب لهم الكون وخلق من أجلهم الأشياء, فكلُّ ما في الوجود مُسخَّر لكم من قبل أنْ تُوجَدوا[٣]. لذا لا يبقى عذر للإنسان من أن لا يعمل على تقدير الإنسان واحترامه, ما دام الله تعالى قد أعطاه هذه المنزلة الرفيعة.

والدّين كونه مصدر من مصادر الوعي بالسنن الحياتية الاجتماعية؛ يدعو الإنسان إلى الاستنان بتلك السنن وقوانينها, وفهم شروطها لكي يلبي حوائجه الروحية والمادية, وكذلك فهم الظاهرة المجتمعية الدينية في منابعها, وتفهّم أبعادها, حتّى يصير المقدس دنيوياً ودينياً في آن واحد, ودراسة المعتقد الديني ونصوصه, فكراً وأدباً وسلوكاً وثقافة. وتوظيف تلك النصوص في تشكيل النظام الاجتماعي في سياسته واقتصاده وهويته[٤].

١٢-حبُّ الخير للآخرين

إنّ من النعم العظيمة هو أن يعيش الإنسان من أجل الآخرين, وهو سبيل إلى الارتقاء بمعاني التسامح ورفع الحواجز بين فئات المجتمع الواحد, والدِّين يعلّمنا حبَّ الناس وحبَّ الخير لهم, وقلب المؤمن يجب أن يسع للآخرين, مهما كان بينهم من خلافات, قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ... وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (الحشر: ٩). فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية؛ أن تكون على المحبّة والمودّة والتآلف, حتّى ولو تباينت الأفكار والمواقف, بل إنّ هذا التباين هو الذي يؤكِّد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ[٥].

والحقيقة أن الإيثار والعطاء وحب الخير للغير، نزعة وشعور داخلي موجود في نفس كلّ فرد منّا، ولكن يحتاج لمن يثيره ويخرجه ويحوله إلى سلوك واقعي عملي، بالكثير من الأساليب والطرق المبتكرة, وقد أكّد ديننا الإسلامي ورغّب وحثَّ على ممارسة وإحياء فضائل الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين، بمختلف الوسائل، سواء بالمال أو الوقت أو قضاء حوائج الناس، وأمر بتعميقها في قلوب الأفراد، للحصول على الثواب الدنيوي والأخروي، ولضمان تماسك المجتمع وتقدمه. وكما أجريت الكثير من الدراسات والأبحاث العلمية عن طبيعة الإيثار وأهم ارتباطاته, وأكدّت نتائجها على الفوائد الصحية الجسمية والنفسية والاجتماعية, التي يجنيها الفرد والمجتمع من ممارسة سلوك الإيثار والعطاء وحب الآخرين، سواء بالمال أو بالكلمات الطيبة، واكتشف العلماء منطقة في المخ مسؤولة عن سلوك الإيثار وترتبط زيادة وشدة نشاطها مباشرة بدرجة الإيثار لدى كل فرد[٦].

فقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية، في الكثير من الآيات والأحاديث، على خلق الإيثار والعطاء, على سبيل المثال قول الرسول الله-صلى الله عليه وسلم- حيث ربط بين كمال الإيمان وحبّ الخير لأخيه الإنسان, وقَالَ:{لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ}[٧], أي لا يؤمن أحدكم الإيمان التام، حتّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه، وقال أبو الزناد: ظاهره التساوي وحقيقته التفضيل، لأنّ الإنسان يحبُّ أن يكون أفضل الناس، فإذا أحبَّ لأخيه مثله، فقد دخل هو في جملة المفضولين[٨].

لقد اختصر المسيحيون المسيحيةَ في المحبّة, فلو سألتَ عن ماهية المسيحية, لكان الجواب, أنّ المسيحية تعني المحبة. وهذه المحبّة واضحة في حياة المسيح عليه السّلام, فالوصية الأولى في المسيحية يركّز على المحبّة, جاء:{....اسمع يا إسرائيل, الرَّبُّ إلهنا ربٌّ واحدٌ وتحبُّ الرّبَّ مِن كلِّ قلبك, ومِن كلِّ نفسِكَ, ومِن كلِّ فكرِكَ, ومِن كلِّ قدرتِك, هذه هي الوصيّة الأولى, والثانيةُ

---

[١] التسامح في الإسلام, مصدر سابق, ص٤٥.
[٢] تفسير الكشاف, ٦٨٠/٢.
[٣] تفسير الشعراوي,٨٦٧٩/١٤.
[٤] اجتماعيات الدّين والتدّين, مصدر سابق, ص١١-١٢.
[٥] مفاهيم فلسفية, مصدر سابق, ص١١٤.
[٦] موقع: elaph.com.تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٣/١٤.
[٧] صحيح البخاري, باب الإيمان, رقم الحديث(١٣), ١٢/١.
[٨] شرح صحيح البخاري, ابن بطال, ٦٥/١.

مثلُها هي: تحبُّ قريبكَ كنفسكَ, ولَيْسَ وصيَّةٌ أعظمَ مِن هاتَيْن}[١]. وجاء على لسانه أيضاً:{لَيْسَ لأَحَدٍ حبٌّ أعظَمَ مِن هذا: أن يضعَ أحدٌ نفسَهُ مِن أجلِ أحبَّائهِ}[٢]. وأكّد المسيح أنّ حب الخير للآخرين هو الناموس الذي جاء به الأنبياء, حيث يقول:{ فكلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم, افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم}[٣].

ومن جهة أخرى يؤكد المعتقد المسيحي على أن تتحول هذه المحبة إلى عمل, حيث جاء:{فلا تكن محبتكم لا بالكلام ولا باللسان, بل بالعمل والحق}[٤].

ومن أجل هذا, فقد أصبح من الواجب علينا الاهتمام بتربية أبنائنا, منذ الطفولة, على مفاهيم وقواعد وسلوكيات الإيثار والعطاء والإحساس بالآخرين، وغيرها من الأخلاقيات والقيم الإنسانية النبيلة، وذلك من خلال مفردات الخطاب الديني، وأساليب التنشئة الاجتماعية، وبخاصة في الأسرة والمدرسة، التي يمكن أن تساهم جميعها في تحسين العلاقات والروابط الإنسانية، وتماسك وترابط الأفراد والمجتمعات.

١٣-احترام المبادئ والمعتقدات الدينية

إنّ النصوص الدينية والقيم الإنسانية تحتم على الإنسان احترام المبادئ والمقدسات الدينية للآخر, وأنّه يجب التأكيد على مبادئ السماحة والعدالة والحرية والمساواة وحفظ التوازن بين حقوق الفرد والجماعة, وتأكيد مكانة الجماعات والثقافات في كيان الدولة[٥], وأنّه يجب توفير الاحترام للمبادئ الدينية والخصائص الثقافية والاجتماعية, وأن يتمّ التفاعل بأسلوب لمي حضاري, على أساس التسامح والحوار الإرادي وغير الإرادي[٦].

إنّ اعتبار الإيمان بالرسل ركناً من أركان الإيمان في الإسلام؛ يمكن أن نجعله منطلقاً أساسياً لاستيعاب واحترام الأديان الأخرى. وكذلك حديث القرآن الكريم عن الرسالات السابقة وقصص أنبيائها, وما حلَّ بتلك الأمم؛ هي في حدِّ ذاتها ردٌّ للاعتبار إليها, وأخذ العبرة منها. وكذلك يرشدنا القرآن الكريم إلى عدم الاستهزاء والسخرية من الآخرين,قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ .. ﴾(الحجرات:١١). ومعلوم أنّ عدم الاستهزاء والسخرية يعني الدعوة الضمنية إلى الاحترام والقبول.

لذا علينا جميعاً البحث عن إيجاد روح التكيُّف في هذا العصر الشديد التغيُّر, وليس المقصود بالتكيّف؛ الاستسلام لمعطيات الحضارة الحديثة, ولا التنازل عن القيم والمبادئ التي نؤمن بها, وإنّما المراد أن نملك الطاقة الروحية والعقلية التي تمكّننا من استيعاب الوافدات الجديدة والاستجابة لها على نحو صحيح[٧], والعقل المفتوح هو الذي يمتلك القدرة على هذا الاستيعاب, وعلى نقد التجارب الماضية وتقويمها وأخذ العبرة منها[٨].

وقد أكّدت جميع المواثيق والمعاهدات الدولية على حرية التدين واحترام الحريات الدينية, فعلى سبيل المثال جاء في ميثاق الأمم المتحدة حول أهمية حرية الديانة أو المعتقد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي اعتمد عام ١٩٤٨، حيث تنص المادة (١٨) منه على أن: "لكل إنسان حق في حرية الفكر والوجدان والدين ويشمل ذلك حريته في أن يدين بدين ما، وحريته في اعتناق أي دين أو معتقد يختاره"[٩]. وجاء في ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي, إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام سنة(١٩٨) في المادتين(١٢ و ١٣) من الإعلان الحق في الحرية الدينية, في الحدود التي تسمح بها الشريعة الإسلامية[١٠].

الخاتمة

في نهاية هذا البحث المتواضع نسجّل أهمّ النتائج التي توصلّ إليه البحث:

١-الإنسان كائن اجتماعي, لا يستطيع العيش خارج الجماعة, ومن الطبيعي أن تكون هذه الجماعة مختلفة الآراء والتوجهات, لذا فالإنسان يحتاج إلى مبدأ يضمن بواسطته العيش مع الجماعة, وهذا المبدأ هو التسامح وقبول الآخر الذي يختلف عنه, في الفكر والعقيدة وممارسة العيش.

٢-إنّ التسامح مبدأ إنساني وديني أصيل, لا يمكن تجاهله, وضمان قبول الاختلاف والتنوع وسيلته التسامح.

٣-كلّ الأديان تقرُّ بمبدأ التسامح, وخاصة الأديان السّماوية. لأنّ مصدرها واحد, وهذا المصدر هو الذي جعل الاختلاف والتنوع سنة الحياة.

٤-إنّ طبيعة الحياة الإنسانية تستلزم ممارسة التسامح, على مستوى الفرد والجماعة والدولة. لكن الأولى الاهتمام بتفعيله على مستوى الفرد, لأنّ إيمان الفرد بالتسامح وممارسته له في حياته اليومية؛ يضمن ممارسة الجماعة والدولة له. لأنّ التسامح لا يمكن فرضه بقوة الجماعة أو قوة السلطة, وحتّى لو فُرض فلا نضمن له التأثير والفاعلية والاستمرار.

٥-لقد كثر الحديث عن التسامح, في الكتب واللقاءات والمؤتمرات, والذي نحتاجه ليس فقط الحيث عنه وترويجه, بل لابدّ من البحث عن إيجاد القناعة والإيمان به, وعن كيفية تفعيله وممارسته عملياً.

---

[١] (مرقس, ١٢: ٢٩-٣١).
[٢] (يوحنا, ١٥: ١٣).
[٣] (متى ١٢:٧).
[٤] (رسالة يوحنا الأولى ١٨:٣).
[٥] تأصيل الحوار الديني, د.محمد الفاضل اللافي, ص٢٦٠.
[٦] الإعلام وقضايا التنوع الثقافي, موسى الحاج موسى, ص٥.
[٧] حول التربية والتعليم, مصدر سابق, ص٥٨.
[٨] المصدر نفسه, ص٥١.
[٩] الإعلان العالمي لحقوق الإنسان, سنة ١٩٤٨م.
[١٠] منظمة المؤتمر الإسلامي, إعلان حقوق الإنسان في الإسلام, سنة ١٩٩٦م.

٦-ويجب البحث عن الوسائل والطرق التي تؤدي إلى إحياء وتفعيل التسامح بين فئات المجتمع الواحد, ومن أهم وسائل وطرق تفعيل التسامح-في نظر الباحث- هي:
أ-العمل على تثقيف الفرد المتديّن وتشجيعه على القراءة المتنوعة. ب-التربية على قبول التنوع وتقدير قيمته الحضارية. ج-الاختلاط بالآخرين ومحاولة معرفتهم من الداخل. د-تفعيل الحوار الديني ه-التأكيد على المشتركات بين بني البشر. و-تعزيز التنافس على الخير العام. ز-إقرار احتمال صواب الرأي وخطأه. ح-البحث عن الطرق العملية للتعاون. ط-جعل المبادئ الملزمة في الأديان قواعد لإصلاح الواقع نحو الأفضل. ك-العمل على تحقيق العدل والمساواة بين النّاس. ل-إقامة مجتمع مدني يحترم الإنسان. م-حبُّ الخير للآخرين. ث-احترام المبادئ والمعتقدات الدينية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس(العهد القديم والعهد الجديد), الطبعة الكاثوليكية, ١٩٩٦م.
- أضواء على التعصب، حسن حنفي، دار أمواج، ط١، بيروت ١٩٩٣.
- التسامح ومنابع اللاتسامح (فرص التعايش بين الأديان والثقافات)، ماجد الغرباوي، ط١، مؤسسة عارف للطباعة، بغداد - النجف، ٢٠٠٨.
- الجامع الصحيح المختصر, محمد بن إسماعيل البخاري, دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ط٣، ١٤٠٧.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاري)
- الحاوي الكبير, أبو الحسن علي بن محمد بن محمد البصري، الشهير بالماوردي- دار الفكر- بيروت.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, أبو القاسم الزمخشري. دار الكتاب العربي– بيروت,ط٣ -١٤٠٧هـ.
- المجموع شرح المهذب, أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي, دار الفكر-بيروت.
- المدخل إلى التنمية المتكاملة, د.عبدالكريم بكّار, دار القلم-دمشق, ط٣,١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
- المقومات الفلسفية للتسامح الثقافي، عصام عبدالله. الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٥.
- تسامح الإسلام وتعصب خصومه, د.شوقي أبو خليل, كلية الدعوة الإسلامية. طرابلس, ط٣- ١٤٢٨ه.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي, المحقق: عبد الرحمن بن معلا, مؤسسة الرسالة, ط١, ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م
- دراسات في التسامح. ناجي البكوش وآخرون، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، ١٩٩٩.
- رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، ٢٠٠٦.
- سنن الترمذي, محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى, المحقق: بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي- بيروت- ١٩٩٨م.
- شرح صحيح البخاري, ابن بطّال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك, تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم-مكتبة الرشد - السعودية، الرياض, ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- شعب الإيمان, أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي, تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول, دار الكتب العلمية – بيروت, ط١-١٤١٠ه.
- قضايا في الفكر المعاصر، د.محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧.
- قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم)، محمد أركون، ط٢، ترجمة وتعليق: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.
- لسان العرب, محمد بن مكرم جمال الدين ابن منظور الأنصاري, دار صادر– بيروت, ط٣ - ١٤١٤ ه.
- معجم اللغة العربية المعاصرة, د. أحمد مختار عبد الحميد عمر. عالم الكتب, ط١, ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- مفهوم التسامح بين الإسلام والغرب، ياسين بن علي، دار الدعوة الإسلامية للنشر، طرابلس ط١،٢٠٠٦.
-اجتماعيات الدّين والتديّن. حسين أحمد شحادة, مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي-بيروت, ط١-٢٠١٠.
-أحبوا أعدائكم, بيتر قدوس, دار المشرق- بيروت, ط١, ١٩٩٧م.
-الإعلام وقضايا التنوع الثقافي, موسى الحاج موسى, مكتبة المجلس الوطني الانتقالي- السودان.
-التسامح في الإسلام(المبدأ والتطبيق), د.شوقي أبو خليل, دار الفكر المعاصر-بيروت, ط١, ١٩٩٣م.
-التسامح –مجلة فصلية فكرية إسلامية, تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-سلطنة عُمان-العدد ٢٢.
-العدل في المسيحية والإسلام. د.عادل ثيودور خوري, المكتبة البولسية-جونيه-لبنان-١٩٩٦م.
-المبادئ الأساسية لتعليم الكنيسة الاجتماعي, الأب كميل مبارك, منشورات الحكمة- بيروت-٢٠٠٧م.
-المجموع شرح المهذب, أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. دار الفكر-دمشق.
-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, مسلم بن الحجاج النيسابوري, المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي, دار إحياء التراث العربي – بيروت.
-المشترك الإنساني-نظرية جديدة للتقارب بين الشعوب, د.راغب السرجاني, مؤسسة اقرأ, ط١-٢٠١١م.
-المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، ترجمة: سعد الفيشاوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧.
-المقدمة, ابن خلدون, دار إحياء التراث العربي-بيروت-ط٤.
-المؤتمر الدولي الأول لمركز البحوث والاستشارات الاجتماعية, لندن-٢٨-٣٠ مايو ٢٠١٢.
أندراوس بشته وعادل تيودور خوري, المكتبة البوليسية- جونية-لبنان-٢٠٠٠م.

-أهمية التسامح والاحترام المتبادل في المجتمع في إشاعة ثقافة اللاعنف، (مجموعة باحثين).
-تأصيل الحوار الديني, د.محمد الفاضل اللافي, دار الكلمة, ط١- ٢٠٠٤م.
تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر-دار طوق النجاة, ط١- ١٤٢٢هـ.
-تفسير الشعراوي, محمد متولي الشعراوي, مطابع أخبار اليوم- ١٩٩٧م.
-توجيهات في أصل الحوار بين المسيحيين والمسلمين, موريس بورمانس, المكتبة البولسية-لبنان, ١٩٨٦.
-جامع البيان في تأويل القرآن. محمد بن جرير الطبري. تحقيق: أحمد محمد شاكر, مؤسسة الرسالة، ط١, ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
-حول التربية والتعليم, د.عبدالكريم بكّار, دار البشير-جدّة, ط٢, ١٤٢٦ه-٢٠٠٥م.
-عالم واحد للجميع., عادل ثيودور وأندراوس بشته, المكتبة البولسية-جونيه- لبنان-٢٠٠٠م.
-فلسفة التربية, ئوليفيه ربول, ترجمة د.جهاد نعمان, منشورات عويدات, بيروت-باريس, ط٣, ١٩٨٦م.
-قبول الآخر, المطران يوحنا إبراهيم, دار قدمس للنشر-سوريا-دمشق, ط١- ٢٠٠٦م.
-قصة الحضارة. ول ديورانت, ترجمة مجموعة من العلماء, الهيئة المصرية للكتاب-القاهرة-١٩٨٨م.
-قصة الفلسفة, ول ديورانت, ترجمة أحمد الشيباني, دار القارئ العربي-القاهرة, ط٢, ١٤١٤ه.
-مجموع الفتاوى, ابن تيمية, تحقيق: عامر الجزار, دار ابن حزم-بيروت-١٩٩٨م.
-مشكلة الثقافة, مالك بن نبي, ترجمة عبدالصبور شاهين, دار الفكر-سوريا, ط٤-١٩٨٤م.
-مفاتيح الغيب. أبو عبد الله محمد فخر الدين الرازي, دار إحياء التراث – بيروت, ط٣ - ١٤٢٠هـ.
-مفاهيم فلسفية-التسامح- د.رمضان بسطاويسي, المصرية واللبنانية للطباعة والنشر, ط١-٢٠١٨.
-مؤتمر منظمة التربية والثقافة والعلوم (اليونسكو), الدورة(٢٨) في باريس سنة, ١٩٩٥.
-نظرية الثقافة, مجموعة باحثين, ترجمة علي سيد الصاوي, سلسلة عالم المعرفة(٢٢٣) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت-يوليو- ١٩٩٧م.
The Encyclopedia of Philosophy, V. 7 Paul EDWARDS-

المواقع الإلكترونية:

alhiwartoday.net/node-
http://alhiwartoday.net-
www.altasamoh.net -
www.asjp.cerist.dz-
https://annabaa.org/arabic-
http://baytalhikma.iq-
alhiwartoday.net/node-
http://www.ahewar.org-
kw.alanba.com-
.https://al-sharq.com-
www.alittihad.ae-
elaph.com-
www.tolerancy.org-

ملخص البحث

هذا البحث يتناول موضوع التسامح الديني, في ضوء النصوص المقدسة في الأديان السماوية الثلاث. في البداية تطرق الباحث إلى الحديث عن معاني ودلالات التسامح من حيث اللغة والاصطلاح, وكذلك ذكر اهم الإشكاليات التي تعترض مفاهيم التسامح الديني, وأقوال العلماء في تلك المسألة. ثمّ تتطرق إلى الحديث عن موقف الأديان الثلاثة من التسامح, في ضوء النصوص الدينية.

والهدف الأساسي الذي جاء البحث من أجله؛ هو محاولة التعرّف على أهمّ وسائل وآليات تفعيل التسامح الديني, وسبل تعزيز قيم التسامح في المجتمع, وقد تمّ ذلك بشكل مختصر, حيث ذكر الباحث أهمّ تلك الآليات, في ضوء ما توفر لديه من معلومات, وتحدّث عنها بشكل مختصر, ثمّ ختم البحث بذكر أهمّ النتائج التي توصل إليه البحث.

الكلمات المفتاحية: مبدأ التسامح, الآليات, التفعيل, الفكر الديني.

Abstract

This paper deals with the topic of religious tolerance, in the light of the sacred texts of the three divine religions. In the beginning, the researcher discussed the search for the meanings and meanings of tolerance in terms of language and convention, as well as mentioning the most important problems that interfere with the concepts of religious tolerance, and the sayings of scholars on that issue. Then she talks about the position of the three religions on tolerance, in the light of religious texts.

The main goal of the research is to try to identify the most important means and mechanisms for activating religious tolerance, and this was done in a brief way, where the researcher mentioned the most important of these mechanisms, in light of the information he has available, and he talked about it in a brief way, then concluded the research by mentioning the most important results that he reached search.

Key words: tolerance, mechanisms, activation, religious thought.